الفصل الثاني
مدخل إلى التعليم الأساسي

يعد النظام التعليمي في أي مجتمع من المجتمعات محطة للخبرات المجتمعة لذلك المجتمع وانعكاساً للقيم التي يؤدي بها افراده والفلسفة السائدة فيه ، لذا تعد التربية في المجتمع وسيلة للمحافظة على أعز ما يحرص عليه من قيم وسلوك وعادات وتقاليد ، دون أن تكون هذه المحافظة جامدة ولا تتجاوب مع اصدقاء الغير والتطوير في المجتمع وهي من اعداد الفرد ليحيا حياة كاملة ويعيش سعيداً محباً لمجتمعه.

وعليه فأن مفهوم التربية بعنب عملية شاملة لتنشئة الفرد في جوانبها كافة ، وهي عملية فردية واجتماعية كونها تنظر إلى الأنسان من منظور فردي تبدأ معه من حيث هو بإمكاناته الجسمية والعضلية والنفسية وتتماشى معه لتنمي هذه الافكار في محيطها الاجتماعي ، بهدف تكييف الفرد مع بيئته.

ومن هنا تعد التربية حقاً لكل فرد لابد أن تخطط الدولة لتوفيره له وتجمع لذلك خبراتها وترصد له مواردها ، وتمنحه الأولوية في اختيارها.

فالتربية كما هو معروف ضرورة حياتية وقاعدة اساسية لتطوير المجتمع بحيث لا يوجد أحد ينكر هذه الحقيقة ، فقد بذلت التربية ورجالها خلال مسيرة التأريخ البشري جهوداً عظيمة في تطوير المجتمعات ، واثبتت دورها وتعلق الدول متقدمة ونامية اماالاً كبيرة على النظم التربوية ايماناً منها بأن التربية هي العنصر الأساسي والحاسم بأحداث التنمية بجميع أبعادها.

ومن عقود استوجب الايقاع السريع للتغير في المجتمعات سرعة تقدم وتراكم المعرفة واتساع نطاقها نظرياً وتطبيقياً ، والتحول العميق في وسائل الاتصال وتقنياته والتفجر السكاني ، استوجب هذا وغيره تطوراً أكثر في دينامية النظم التربوية لأجراء المزيد من التطور والتجديد في مختلف مفاصل العملية التربوية.

وأصبح من الواضح أن مهمة التربية ليست التعبير عن هذا التطوير فحسب بل المساهمة فيه بفاعلية عن طريق اعداد الأفراد الأكفاء في المجالات كافة.

فلم يعد التعليم حظ القلة وترف الصوة بل أصبح حق الكافة والوسيلة الأساسية الازمة للانتقال من الترديد إلى الابداع ومن صناعة الكلمات إلى صناعة الاشياء ومن العزوف عن العمل إلى النظر اليه كعبادة ومن الفردية إلى الجماعية فهو باختصار وسيلة الأمة للانتقال من التخلف إلى التنمية ، بل أن الكثير اليوم ينظرون إلى التربية باعتبارها البلسم لكل الأدواء وللتخلف والبطالة والعنف وتدهور البيئة وغيرها ... والسؤال المطروح اليوم هو أيه صيغة للتعلم يمكن أن تحقق ذلك ولمن توجه ولأية فترة وبأية طريقة؟.

وما القدر من التعليم الذي يلبي الحاجات التعليمية الأساسية لكل فرد بما يمكنه أن يخرج لعالم العمل إذا اراد أو يواصل رحلة التعليم إلى مرحلة أعلى إذا رغب وما القدر المشترك الذي يضمن وصول كل مواطن إلى مستوى تعليمي يمثل الحد الأدنى لتحقيق أهداف هذا المجتمع والحفاظ على تقدمه ودرجة نموه؟.

ولاشك أن هذه التساؤلات ليست جديدة فهي مطروحة على التربية من أن تطلعت إليها المجتمعات لأعداد اجيالها ولكن الجديد اليوم هو أنها لم تصبح تساؤلات اكاديمية بل اصبحت تمثل قضية حياة لأمم تواجه تحديات التنمية ولا سبيل لها لاختراقه إلا برفع مستوى مواردها البشرية وقدراتها.

ومن هذا المنطلق برزت قضية التعليم الأساسي وصيغته الملائمة إلى صدر أولويات التربية واهتماماتها على المستوى القومي والدولي.

أستخدم مصطلح التعليم الأساسي منذ السبعينات من القرن الماضي للإشارة إلى صيغ جديدة من التعليم تهدف إلى سد الحد الأدنى من الحاجات الإنسانية من المجال التعليمي من خلال التعليم النظامي أو غير النظامي وما يزال هو المصطلح المستخدم في هذا المجال في ادبيات التربية والثقافة والعلوم أو من قبل اليونسكو والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وسائر الكتابات التي تتناول هذا النوع من التعليم.

ويقصر البعض مصطلح التعليم الأساسي على التعليم الذي يقدم للكبار بصفة خاصة ممن لم تتح لهم فرص التعليم العام ، ويتأثر هؤلاء بما دعت ألية حركة التربية الأساسية من الاهتمام بالتربية الوظيفية ، وبرامجها الخاصة لمحو الأمية.

إذا نحولنا إلى ميدان التطبيق وتجاربه فأننا نجد أن التعليم الأساسي أسم يطلق على واحد من البدائل للتعليم التقليدي ؟ المرحلة الابتدائية ، ويطلق التعليم الاساسي على نظم تعليمية بديلة غير تقليدية للمرحلة الابتدائية أو على اسلوب تعليمي مصمم خصيصاً للمناطق الريفية كما تفعل الهند ، وقد يطلق التعليم الأساسي كما هو في تنزانيا على التعليم الذي يهدف إلى اكتساب المهارات الأساسية للناشئة والكبار داخل المدرسة وخارجها.

وإذا كانت حركة التعليم الأساسي التي تتبناها منظمة اليونسكو والوكالات الدولية المعنية بالطفولة والتنمية والصحة والعمل تمثل تياراً اساسياً لتطوير التعليم الابتدائي أخذت به العديد من الدول النامية في افريقيا وآسيا وأمريكيا اللاتينية في السبعينات فأن الدعوة إلى التربية الأساسية يحظى بها كل طفل ومواطن . تكون كاملة وشاملة تجمع بين الأساسيات اللازمة لاتصال الناشئة بثقافتهم وبيئتهم ، وتمكنهم من مهارات العمل المنتج اللازمة لنهوض مجتمعاتهم واستقلالهم الاقتصادي ، هي مبادئ تنادي بها المفكرون

التربويون عبر العصـــور ويزخر تاريخ التربية منذ العصـــور المبكرة بمحاولات متكررة لتجديدها وبيان فلسفتها .

وتقودنا النظرة المتأملة في رحلة التربية الأساسية والتعلم الأساسي والكتابات المختلفة التي تعرضت لها للتحليل والدراسة إلى أن هذه الحركة قد انطلقت في مستهلها من بواعث إنسانية ووطنية عامة ثم تأثرت بالاتجاهات الاقتصادية التي غلبت حركة التنمية ووجهتها خلال مرحلة الستينات من القرن الماضي ثم بدأت في العقدين الأخيرين منه ، نتيجة لما أفادته من تجارب التطبيق وثمرة الحوار الذي أديره حولها والجهود الدولية تطويرها ، تستعيد رؤيتها المتوازنة لأهدافها وتؤكد على دورها.